# القيم الثقافية والفنية في أدب الأطفال

**د. سيدة حامد عبد العال**

**أستاذ اللغة العربية المتفرغ بكلية الآداب، جامعة حلوان**

يعتبر أدب الطفل هو الغذاء الروحي والثقافي للطفل منذ ولادته، وسماعه صوت أمه، فأطفالنا هم الثروة الحقيقية التي وهبنا الله إياها؛ ولهذا وجب علينا المحافظة عليها وتنميتها، الطفل هو الثمرة التي نجنيها من حسن رعايته، وتثقيفه، وتعليمه، وتزويده بالقيم السامية؛ ولهذا فثقافة الأطفال تحتاج المختص في أدب الطفل، وعمل خطة متكاملة تتضافر فيها جهود الجميع لتنشئة الأطفال تنشئة صحيحة، وتثقيفهم، وتزويدهم بالقيم الإنسانية.

ينبغي عدم تضمين أشعار الأطفال بأساليب معقدة غامضة حتى لا تسبب لهم النفور وعدم الإحساس بجمال اللغة وعدم الفهم، مع مراعاة المراحل العمرية، وأن يتلاءم شعر الأطفال شكلًا ومضمونًا مع مستويات نمو الأطفال الأدبي والعقلي والنفسي والاجتماعي؛ لأن لكل مرحلة ما يناسبها، مع الحفاظ على الأوزان الشعرية المناسبة التي تؤثر بشكل مباشر في استقبال الطفل للفكرة، والألفاظ والتفاعل معها، لغة وحركة، كما في بحور: الرجز، والمتقارب، والمتدارك، ومجزوءات بحور سباعية التفعيلة.

## ما المقصود بالثقافة؟

للثقافة تعريفات كثيرة، منها:

إنها المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والمعتقدات، والفنون، والحقوق، والعادات، والواجبات التي يكتسبها الطفل، باعتباره عضوًا في المجتمع، وكلها تصب في تنشئة الطفل تنشئة صحيحة.

يكتسب الطفل الثقافة باعتبارها بعدًا اجتماعيًا، فهي كم رمزي يكتسبه الطفل من خلال تفاعله مع الآخرين، وهي العملية التي تمكن الطفل أن يتعلم ويتدرب على القيام بالأدوار التي سيلعبها داخل المجتمع، إذن الثقافة هي الرابطة القوية التي تربط بين أفراد المجتمع من جهة، وبين القوة الموجهة لهؤلاء نحو بناء حضاري يمنح الأطفال كينونة وهوية.

**الهوية الثقافية:**

تبدأ ثقافة الأطفال لحظة ميلادهم عندما يطلون بحواسهم على المجتمع، فيكتسبون اللغة والفكر والسلوك، وهو ما يعرف (بالهوية الثقافية).

**كيف يكتسب الطفل الثقافة؟**

الأسرة هي المعين الأول لثقافة الأطفال، ثم المدرسة العربية التي لها مناهجها اللغوية المحددة في المناهج الدراسية، والخبرات اليومية، وأكثر هذه الفنون تأثيرًا في الطفل هو (فن الشعر). لماذا الشعر؟.

الشعر هو الكلام الموزون المقفى، وهو موسيقا ذات أفكار. فهو يتناول الإنسان والحياة والكون، ويعمق الأحاسيس والتجارب الحياتية المناسبة لكل مرحلة عمرية، من خلال اللغة المناسبة، والأسلوب المناسب، والتدرج في تقديمها من المحسوسات إلى المعنويات وما فيها من صور بلاغية، مع الحفاظ

على الأوزان الشعرية التي تؤثر بشكل مباشر على استقبال الطفل للفكرة والألفاظ والتفاعل معها لغة وحركة[١] . ويمكن تزويد الطفل بالقيم النبيلة في جميع المراحل العمرية.

**أشعار د. سيدة حامد نموذجًا:**

**في قصيدة: (صباح الخير يا مصر):** (الوافر)

صباحُ الخيرِ يا مصرُ صباحُ العلمِ والأدبِ
صباحٌ كلُّه عملٌ صباحُ الحبِّ في قلبي
صباحُ الخير مدرستي لأقلامي وللكُتُبِ
تحيّاتي لأستاذي لهُ كلُّ احتراماتي
ونورُ العلمِ يرفعُنا وحبُّ العلم غاياتي
أُحَصِّلُه، أُدَوِّنُه وأقْضِي أحلَى أوقاتي
علومُ الدُّنْيا ألَّفَها جدودي أعْلَى راياتي
أسِيرُ على مناهِجِهِم فهُمْ فَخْرِي وساداتي
وأقرأُ عنهمُ أبدًا لأجدادي تحيّاتي
لأنّ العلمَ يُمْتِعُنا سأُكْثِرُ مِن قراءاتي
أكوِّنُ عالِمًا فردًا تروني في اخْتراعاتي
أكون قارئا دومًا أُسجِّلُ في كتاباتي
لمصرَ اللهُ يحميها دُعائي كلّ أوقاتي
بلادى جَنةُ الدنيا بلادي أعلى نَجْماتي

هذه الأبيات لمرحلة البطولة من ٩-١٢ فالشاعرة تصور مصر إنسانًا تحييه تحية الصباح (صباح الخير)، والخير يتمثل: العلم، والأدب، والعمل،

والتحية للمدرسة بما فيها من كتب وأقلام، والمدرسة فيها المعلم، فله التحية؛ لأنه يزودنا بنور العلم، وتعرض الأبيات فضل مصر على الدنيا كلها، فهي معلم العالم كله.

وكذلك قصيدة: **(يا مصر أنتِ الكون)**: (البسيط)

أهـواكَ وطـنـي يا عزَّتـي وسكنـي
أهـواكِ يا مصرُ يا مَوطِنَ الأمـن
يـا مصـر
مِن حَقّي أن أسعدْ وأن ترى عَيْنِـي
مِن حَقّي أن أفخرْ مصـر هـي كَوْنـي
يـا مصـر
كيف زرعْتِ كتابًا صُنـِعَ من البَرْدِي
زرعْتِ وحصدتِ مـجـدًا بـلا حَـدِّ
يـا مصـر
علَّمْتِنا خيـرًا علمتنا عِلـمًـا
علمتنا طِبًّـا وبنَيْتِ كم هرمًا؟!
ومساجدًا تشـهد هيآ ارفعوا العَلَـمـا
النيلُ من زمنٍ بـالخيـر قـد عَـمَّ
النيلُ في أرضـي يمْرح بـهـا دَوْمـا
يـا مصـر
يا مِصرُ أنتِ الكونُ بـالـطُّولِ والـعـرض
أَعْطيك مِن قلبـي دمـي، فَـهل تَرْضِـي؟!

في حب مصر للمرحلتين: الخيال المنطلق، والبطولة، وفيها مشاعر الحب (أهواكِ)، وفيها العزة، والأمن، والفخر بتاريخها وحاضرها، فمصر هي الكون كله: طولًا وعرضًا.

ومن القيم الاجتماعية النبيلة: قيم الصدق والأمانة والشجاعة والتضحية والاحترام، كما في قصيدة (علمني جدي) من بحر السريع، حيث توضح الأبيات قيمة الصدق قولًا وعملًا، والعمل بجد، وشغل وقت الفراغ فيما يفيد، وخاصة في القراءة، وممارسة الرياضة بلا تعصب، كما علمني جدي الألوان: الأحمر والأصفر والأخضر، ودلالاتها المعنوية.

"**علمني جدي**": (السريع)

علَّمني جَدِّى أشياء ... تُسْعِدُني صُبْحًا ومَساء
علَّمني أقرأُ قرآنَا ... يَرْوِيني كُلَّ الإرْوَاء
علَّمَني أن أقرأَ دَوْمًا ... في الأدبِ أو في الكيمْياء
والشِّعْرُ حياةٌ وجَمالٌ ... لُغَتِي العربيةُ إثْراء
علَّمني الصِّدْقَ في أقوالي ... علمني صِدقَ الأفعال
علَّمني أنْ أعملَ دَوْمًا ... في الخيرِ وفي كُلِّ مجال
علَّمني أنْ أحفظَ نَفْسِي ... مِن سطوةِ عُبَّادِ المالِ
علَّمني أنْ ألعبَ كُرةً ... وأُركِّزَ وأُسَجِّلَ هدفا
هذِي الأجسامُ لها منا ... حقٌّ مشروعٌ معترفا
وأُرَوِّحُ عن نفسي وقتًا ... بين الإخوانِ ولا تَرَفَا

وفريقِي وفريقٌ آخر أحدٌ مِنَّا نَالَ الشَّرفا

علمني جدي ألوانًا الأحمرُ لونُ الحرية

والأصفرُ نورٌ وضياءُ والأخضرُ أشجارِي نَدِيَّة

ما أجملَ لونَ الأكوانِ

علَّمني جدي آياتْ

تحفظُنِى كلَ الأوقاتْ

ودُعائِي كلَ الأوقاتْ

مُنتظِرٌ خيرًا هُوَ آت

ومن القيم التي تتناولها هذه الدراسة قيمة إتقان العمل، وأثره في تحقيق النجاح، في صورة رمزية تجمع بين الجد واللعب، وذلك في قصيدة (قصر من الرمال).

**(قصر من الرمال):** (الرجز)

على رمالِ بلادِي رَسَمْتُ قمرًا بديعًا

جاءتْ رياحٌ شديدة فطَيَّرتْهُ بعيدًا

وعُدْتُ أَرْسُمُ زهرة تفوحُ عِطرًا فريدًا

فهبَّتْ الرّيحُ تُسْرِع وبَعْثَرتْها بعيدًا

وكنتُ يومًا سعيدًا رسمْتُ قردًا عنيدًا

وجاء ريحٌ مريدٌ فَقَيَّدَتْهُ قعِيدًا

رسمْتُ قصرًا بديعًا الْتَفَّ حوْلِي أُناسي

يشاهدون جمالَه والرملُ حوله كَاسِي
ريحٌ سَريعةُ جاءتْ فأقْلعَتْ كلَّ رَاسِي
رآنِي شيخٌ عجوزٌ مِنَ الحياةِ سعيدْ
وقال: أقْبِلْ، تَعَلَّمْ بَطْشُ الرِّياحِ شديد
إذا بَنَيْتَ فشَيِّدْ بِناءك من حديد

وفي قيمة العلم قصيدة (مفتاح العلم)، وكيف تصور الأبيات أن المكتبة هي مفتاح العلم، والمتعة في القراءة، وممارسة أنشطة أخرى كالرسم والتلوين، وتكوين صداقات في حب الكتاب (وأعز صديق في الزمان كتاب)، وتشبه المكتبة بالنادي الذي يمكن ممارسة الهوايات المفيدة الممتعة، لجميع المراحل العمرية.

قصيدة: **(مفتاح العلم):** (السريع)

مِفْتاحُ العلمِ بأيْدينـا والمكتبةُ هي نادِينا
في المكتبةِ نجلسُ نقرأ نعرفُ ماضينا وآتِينا
نقرأُ حكاياتٍ مدهشةٍ واختراعاتٍ مِن أيدينا
مفتاح العلم بأيدينا
نكتبُ نرسُمُ قدْ نتَسابقْ ونفوزُ ونضحكُ نتعانقْ
الفائزُ منّا نُهنِّئـه: حقَّقْتَ أحلى أمانينا
مفتاح العلم بأيدينا
في المكتبةِ أَرى أصحابي وأرى أصحابًا لكتابِ

ذا يُسْعِدُنا، ذا يهدينا نفرحُ تتشابكُ أيْدينا

المكتبةُ هي نادينا

مفتاح العلم بأيدينا

ومن القيم التي يجب الالتفات إليها أيضًا قيمة الاحترام، وتتمثل في احترام المعلم، وتقديم الشكر له، والاعتراف بفضله؛ لصبره على تلاميذه، وحبه لهم، والتفاني في عمله من أجلهم، ونجاحهم نتيجة إخلاصه، فهو أغلى إنسان، وهو فخر للأوطان.

قصيدة: **(أستاذي شكرًا)**: (الوافر)

أُحَيِّيكَ، أُحَيِّيكَ وأَشْكُرُ لَك أيادِيكَ

وأعْرِفُ فضْلَك دوْمًا ألا بارِكْ لنا فِيكَ

صَبَرْتَ كيْ تُعَلِّمَنا تَفوُّقي مِن مَرامِيكَ

تعَلَّمنَا، تَفَهَّمْنَا فحقَّقْنا أمانيكَ

أيا أستاذَنا شكرًا تُجَمِّعُنا خطاوِيكَ

ولا نَنْسَى ابتسامتكَ ولا نَنْسَى حكاويك

تحَمَّلْتَ شقاوتنا ضحِكْتَ منها أحيانًا

وأحيانًا تعاقِبُنا أسِفْنا، أنت غضبانا

تذكَّرْنا ولا ننسى صِغارًا، كُنا صِبْيانا

تراقِبُنا، تُشارِكُنا وتأخذ بِيَدِ العانِي

نجحْنا في مدارِسِنا أنا الأَوَّل، وذا الثاني

تَعِبْتَ مُعَلّمِي معنا فأنْتَ أَغْلى إنسانِ
أيا أستاذنـــا شكرًا لأنك فخرُ أوطاني

قيمة حب العمل، حيث بدأت الأبيات بالفعل (هيا) لتحفيز الأطفال على حب العمل، والقيام به مبكرًا، مثل الفلاح، والبلبل الذي يغرد عند بزوغ الفجر، والنحل الذي يمتص رحيق الأزهار؛ فيمدنا بالعسل اللذيذ، الكل يعمل، لا وقت للكسل، أو الهزل، وهذه الأبيات من بحر الرجز(مستفعلن) بما فيها من موسيقا داخلية، مع حسن اختيار الألفاظ المناسبة للفكرة.

قصيدة: **(هيا إلى العمل)**: (البسيط)

رأيتُ في الصباحْ نــورَ الحياةِ لاحْ
ينادِي: يا مِلاح استيقظوا هيّا
والبلبلُ الصّداحْ يطيرُ في براح
يُغَنّى في انشراح يومُ السعادةِ لاح
استيقظوا هيا
هيا إلى العملْ إيّاكَ والكسلْ
فلّاحُنا وَصَل يَعملْ بلا ملل
استيقظوا هيا
والنحلُ قد دخل منَ الزَّهْرِ نَهل
يعمل بلا كَلل يُقدِّم العسل
بالجِدّ والعمل استيقظوا هيا

والـزَّهْرُ في خجل يـقولُ في عَـجَـلْ
لا وقتَ للـهـزَل هـيـا إلـى العمـل
وكـلُّــنـا أمــل استيقظـوا هـيـا

وتشتمل النماذج الشعرية على المناسبات الاجتماعية، والدينية منها الاحتفال بقدوم شهر رمضان، فنترقب رؤية الهلال، ونقضي شهرًا في صوم وطاعة وصلاة، وزيارات، وموائد الرحمن، رمضان شجرة مثمرة، ثمرتها الجنة.

قصيدة: **(رمضانُ بستانٌ دائم)**: (مجزوء الكامل)

يا ابْنَ الإسلامِ ألا مَرْحَى رمضانُ يُعاوِدُكَ فرحَى
بُشْراكَ بعفوِ ومغفرةٍ لوْ كانتْ طاعتُك زُلْفَى
يا ابنَ الإسلامِ تحياتي فصيامُك طاعة بل كلفا
رمضانُ الخيرِ أتى نورًا ملأَ الدنيا بالخيراتِ
أنتَ قريبٌ من مولاك هيّا وانعمْ بالبركاتِ
اللهُ كريمٌ يا مسلـم الله يحبُّ الدعواتِ
ادعوهُ بعفوٍ ومثوبة ادعوه كل الصلواتِ
ودعاءُ المسلمِ مقبولٌ مرفوعٌ أعلى الدرجات
رمضانُ صيامُ عن الفحش رمضان حمايةُ للذَّات
رمضان جلاءٌ للنفس رمضان شهرُ النفحاتِ
أَقضِى رمضانَ مع ربي أشكره كلَّ الأوقات
وصغيرُ السِّنِّ له مِنّا مِصباحُ يُنيرُ الطرقات
والراشدُ يقضى ليلتَه يتهجَّدُ يَذْرِفُ عَبرات

رمضان بستانٌ دائم رمضان أقوى الشجرات
شجَراتهُ مثمرةٌ دومًا وثمارُ الصَّومِ الجنَّات

ومن المناسبات الاجتماعية التي تسعد الطفل، وينتظرها من عام إلى عام: الأعياد، وخاصة عيد الأضحى، وعيد الفطر، وهذه القصيدة في عيد الفطر، ونرى الطفل في مطلع القصيدة ينادى العيد: "ياعيد أقبل، مرحبًا بقدومك" وأنه أنار الظلام، وينناديه بنسبه: ياعيد يا ابن العيد يا ابن الفرحة، وتعرض الأبيات الطقوس التي تمارس في هذه الأعياد، وكيف يرجوه ألا يرحل،"ياعيد أحببناك، أنت تحبنا " فالقصيدة تشبع حاجة الطفل إلى: الأمن والأمان، والانتماء، والمشاركة، والحب.

قصيدة: **(أنت تحبنا)** (الكامل)

يا عيدُ أقبِلْ مرحبًا بقدومِك يا عيدُ فرحتُنا تُضيءُ عيونَك
وأنَرْتَ ليلَ حياتِنا بالبهجة سَهِرَ الصِّغارُ يراقبون قدومَك
حَضنُوا ملابسَهم وناموا فرحةً في الليلِ في أحلامِهم غَنُّوا لك
يا عيدُ يا ابْنَ العيدِ يا ابْنَ الفرحةِ هيّا ودُق البابَ عند الجدةِ
هناك أُمّي والأقاربُ كلّهم يتطلّعون بفرحةٍ وتحية
جاء الجيرانُ يباركون بعيدِنا حملوا الأماني والتهاني لأسرتي
قال الصغارُ: هذا عيدُنا جاء ولوَّن فرحَنا ألوانا
مِنْ ريشةٍ سحريةٍ تجرى تُلَوِّنُ تمسحُ الأحزانا
ترسم سعادةَ في لونِ الفرح قد حَوَّلتْ صحراءنا بستانا
يا عيدُ جِئْتَ بكلِّ خيرٍ عندنا في بيتِنا وبيتِ عَمِّى أحمد

جاء الأقاربُ يحملون سلامَهم وكلامَهم فرح بعودٍ أحمد
يا عيدُ بُحْ بالسِّر ماذا عندك هل تُخْفي عنا يومَ آتٍ أسعد؟
يا عيدُ لا ترحلْ ابقَ بحيِّنا
وَبِدرْبنا وبمصرنا
ياعيدُ أحْبَبْناك
أنتَ تُحبنا

وفي جمال الطبيعة، وما تشتمل عليها من أشجار، وزهور وطبيعة خلابة في قصيدة: **(حديقتى الجميلة)** (مجزوء الرجز)

كمْ أعشقُ الحديقة وزَهْرَها الفَوَّاح
أشجارُها العتيقة تُقاوِمُ الرياح
كمْ فيها مِن ألوان تدعو لها الإنسان
هذا الرَّبيعُ عندي وعنديَ الأمان
كم فيها من ظلال ومِن سِحْرٍ حلال
هواؤُها عليل تحيا به الأجيال
بلادُنا جميلـة أشجارُها عتيقة
تُنْعِشُنا الزهور والنسمة الرقيقة
نلعب مع الصغار والأخت والرفيقة
حديقةٌ صديقة ما أجملَ الحديقة!

ومن القيم التي يجب الحفاظ عليها هي البيئة ونظافتها، وعدم قطع الأشجار التي تمدنا أوراقها بالأكسجين النقى، الذي نتنفسه، ونحيا به، توضح

الأبيات غضب البلبل؛ لتلوث البيئة، وهدم عشه، وتهديده بأنه سيرحل ولن يعود؛ لأنكم لوثتم الهواء.

**لا لن أغنى:** (مجزوء الكامل)

لا لن أُغَنِّى للبَشَر ولن أُغَرِّدَ في السَّحَر
كمْ قدْ قَتَلْتُمْ مِن شجر وتركْتُمُوهُ بلا ثَمَر
وحَرَقْتُمُوا أَخْشَابَهُ ماتَ الصِّغَارُ مِنَ الشَّرر
مَنْ ذا يَعيشُ بِلا شَجَر فيها حَيَاتُكَ يا بَشَرْ؟
عُشِّي الذي بَنَيْتُهُ مع صِغاري مِن زمان
هَدَمْتُمُوهُ في العِشا وضاعَ مِن عَيْنِي الأمان
وتَطْلُبُونَ غِنْوَتِي بُلْبُل يُغَنِّي للهوان
لا لن أغني للبَشَر لوَّثْتُمُوا كُلَّ المكان
لا لن أغني في الشَّجَر رْحَل بعيدًا في الفضاء
قال الجدودُ لنا: ارحلوا لوْ ضاعَ أَمَلُكَ في البقاء
قال الجدود: هاجِروا لوْ غَيَّرُوا لونَ السماء
أَحْرَقْتُمُوا، لَوَّثْتُمُوا ضَيَّعْتُمُوا عِطْرَ الهواء

لا، لن أغني

## التوصيات:

١. الاهتمام بحسن اختيار ما يقدم للأطفال في المراحل المختلفة في المناهج الدراسية؛ حتى يقبل الأطفال على القراءة وتذوق اللغة العربية، وخاصة الشِعر.

٢. تشجيع القراءة الحرة؛ حتى يعتاد الطفل القراءة في شغل أوقات الفراغ.

٣. عمل مسابقات جادة في إلقاء الشِعر أو تأليفه؛ حتى تنمو قدرات الطفل اللغوية والأدبية.

٤. تشجيع كُتّاب الأطفال، وخاصة الشعراء منهم في نشر أشعارهم في المجلات والصحف.

٥. عدم السماح باستخدام العامية فيما يقدم للأطفال؛ حماية للهوية.

## الهوامش

١. في أدب الأطفال. د. علي الحديدي، ص ١١.

## المراجع والمصادر:

١. ديوان (أشعارى لك أنت)، د. سيدة حامد، القاهرة: المؤلف، ٢٠١٦.

٢. ديوان (حبيبتي القاهرة)، د. سيدة حامد، القاهرة: المؤلف، ٢٠١٤.

٣. صورة الطفل في الأدب العربي، د. سيدة حامد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة، ١٩٩١.

٤. الطفل وأدب الطفل، د. هدى القناوي، القاهرة: مكتبة الأنجلو، [١٩٩١].

٥. في أدب الطفل، علي الحديدي، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ط٦. ١٩٩١.